

المضامين السياسية والعسكرية والادارية... إيناس إدريس و أ.د. نهلة شهاب

المضامين السياسية والعسكرية والادارية لكتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن

مولانا أبي الحسن لابن مرزوق التلمساني (ت: ٧٨١هـ/١٣٧٩م)

**The political, military, and administrative implications of the book
AL-Musnad Al-Sahih Al-Hassan in the Mather and advantages of
Maulana Abi Al-Hassan by Ibn Marzouq Al-Tilmisani
(D. 781A.H./1379A.D.)**

Enas Idrees Thanoon

Dr. Nahla Shehab Ahmed

Professor

University of Mosul - College of

Education for Human Sciences -

Department of History

إيناس إدريس ذنون

د. نهلة شهاب أحمد

أستاذ

جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم

الإنسانية - قسم التاريخ

inasaddress89@gmail.com

تاريخ القبول

٢٠٢٢/٩/١٢

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/٨/٧

الكلمات المفتاحية: المضامين، المسند الصحيح، ابن مرزوق، أبي الحسن، السياسية والادارية

Keywords: contents, the correct predicate , Ibn Marzouq , Abi al-Hassan, political and administrative

الملخص

حاول البحث التعرف على أهم المضامين التي أوردها ابن مرزوق في كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" وهو كتاب من تأليف الإمام والفقير والخطيب ابن مرزوق التلمساني (ت: ٧٨١هـ/١٣٧٩م) والذي عاش في القرن الثامن الهجري، في كنف الدولة المرينية وعاصر السلطان العاشر لهذه الدولة وهو السلطان علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق المريني وكان مقرب لديه ومفضي اسراره ، وقد الف هذا الكتاب حباً به، وهو من الكتب المهمة التي تمدنا بمعلومات مختلفة، فهو ليس كتاب مناقب وكرامات فقط بل هو كتاب تاريخي يؤرخ احداث تاريخية عاصرها المؤلف وكان شاهداً على احداثها، فالباحث في تاريخ المغرب الاسلامي، يستطيع ان يستفيد من هذه المعلومات فائدة كبيرة والتي تلقي الضوء على الجوانب المختلفة من حياة المجتمع في المغرب العربي ومنها الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية والعلمية والدينية، وهناك احداث يتفرد في سردها ولولا كتاب المسند الصحيح لبانتت غامضة ومبهمه.

Abstract

This study deals with the most important political, military, and administrative implications that were mentioned in the book Al-Musnad Al-Sahih Al-Hassan in the Mathrom-Mahasin of Maulana Abi Al-Hassan. He is Sultan Ali bin Othman bin Yaqoub bin Abdul Haq Al-Marini, and he was close to him and revealed his secrets. He wrote this book out of love for him, and it is one of the important books that provide us with different information. The researcher in the history of the Islamic Maghreb can benefit from this information very usefully, which sheds light on the various aspects of the life of society in the Arab Maghreb, including the political, economic, social, scientific and religious aspects. This study highlights the most important of these implications.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا وشفعينا محمد (ﷺ) وعلى اله وصحبه الصالحين ..أما بعد

يحفل التراث التاريخي الإسلامي بشكل عام والتراث التاريخي المغربي بشكل خاص بعدد ضخم من كتب السير والمناقب فقد اهتم المؤرخون بكتابة سير الرجال العظماء والكبار من السلاطين وملوك وقادة وعسكريين، وتفننوا فيها وانتجوا نماذج مختلفة منها، ولقد حوت هذه المؤلفات على مادة تاريخية غنية ومتنوعة يمكن استثمارها عن طريق جعلها مصدراً لدراسات متجددة. ومن هذه المصنفات كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن" وهو من المصنفات القيمة والذي يعود تأليفه الى القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي الذي اخترناه للبحث والدراسة لأنه لم يحظ بدراسة كافية، وقمنا بتسليط الضوء على أهم ما جاء به من مضامين وقد تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نتناول فيه المضامين السياسية

والمطلب الثاني:يتضمن أهم ما جاء بالكتاب من مضامين عسكرية

والمطلب الثالث:نتناول أهم المضامين الإدارية في تلك الحقبة

بما أنّ ابن مرزوق كان ملازماً للسلطان أبي الحسن ومصاحباً له ومطلعاً على ما يدور في البلاط المريني فقد سجل لنا مضامين سياسية وعسكرية وإدارية، وعلى الرغم من افتقاره إلى ذكر الوقائع السياسية بصورة مفصلة إلاّ أنه أشار إلى البعض منها.

المطلب الأول: المضامين السياسية

وتشمل:

١- سلاطين بني مرين:

استطاع ابن مرزوق إعطاء سجل لأسماء السلاطين المرينيين من خلال استعراضه لتعاقب السلاطين ووصولهم إلى الحكم، بدءاً بأول سلطان للدولة المرينية، والظروف التي أحاطت بهم وكيف كانت نهاية كل سلطان، وكيف إنتقل الحكم من سلطان إلى آخر، بصورة موجزة ودقيقة، ولم ينسَ ذكر الوقائع والأحداث التي وقعت مع كل سلطان، وكذلك ذكر سنوات وفاتهم، وطريقة وفاتهم، منها ذكر وفاة السلطان محمد " ثم توفي (عفا الله عنه) سنة ثلاثة وأربعين وستمائة، قتله النصراني أبو ضربة، حين هزمهم الموحدون"^(١)، و وفاة السلطان أبي يحيى " فجاء من وجهته، وهو يشكو مرضه الذي توفي منه، و لما توفي سنة ثمان وخمسين وستمائة، افتقرت بنو مرين فرقتين"^(٢)، وفي بعض الأحيان يذكر تاريخ ولادتهم وتاريخ أخذهم للبيعة وهذا ما حصل مع السلطان عثمان والد السلطان ابو الحسن " ولد رضي الله عنه سنة خمسة وسبعين وستمائة وعقدت له الخلافة في رجب سنة عشر و سبعمائة بتازي"^(٣)، "وكانت وفاة المولى أبي سعيد (رحمه الله) في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام إحدى وثلاثين وسبعمائة"^(٤) ويطلعنا على مكان دفنهم بشاله الذي يعدّها الموضع المعروف بالبركة، وفي بعض الأحيان يذكر لنا أسماء أمهات البعض منهم مثل قوله: " عقدوا الولاية لولده عثمان، وأمّه النوار بنت حفص الونجاسنية"^(٥)

٢- نظام الحكم للدولة المرينية:

كان نظام الحكم في الدولة المرينية قائم على الحكم الوراثي، وقد اختلف عن الحكم في الدولة الموحدية كونه لم يقم على أساس ديني أو مذهبي، فقد أطلق السلاطين المرينيون الحرية الكاملة في الإنتماء إلى المذهب الذي يريدونه، وعلى هذا الأساس فلم يصبح السلطان المريني مصدرًا للسلطة الدينية، وإنما أصبح مصدرًا للسلطة السياسية فقط، خلافاً لما كان

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن ابي بكر، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خسوس بيغيرا، (الجزائر، المكتبة الوطنية، ١٩٨١م): ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٢٣.

(٥) المصدر نفسه: ١١٢.

عليه الموحدون فقد كان الخليفة الموحي مصدر السلطة الدينية والسياسية معاً^(١)، وهذا ما أشار إليه ابن مرزوق في كتاب المسند على لسان أبي الحسن فقال: "أوصى جدنا عبدالحق رضي الله عنه بوصية التزمناها وهي، أن ثلاثة من الولاة لا مدخل للرعية فيهم مع السلطة، وهم صاحب القصبه وصاحب الشرطة والوالي، وثلاثة الرجوع فيها للرعية وهم أمام الصلاة والخطبة والقاضي والمحتبس"^(٢)، وإنطلاقاً من هذا النص نجد أن السلطان عبد الحق أرسى دعائم الحكم لدى المرينيين، ويبدو أنهم التزموا به التزاماً صحيحاً فلم يخالفوه واستمروا بالعمل به، فقد اتخذوا رؤساء بني مرين من لقب سلطان وسُمى السلطان منهم بأمر المسلمين^(٣)، وأصبح يمثل السلطة العليا للدولة، أما أمور الدين فكانت من شأن الفقهاء والعلماء في الدولة^(٤).

وقد تميّز نظام الحكم في الدولة المرينية باستخدام مبدأ الشورى، وهذا ما أكده ابن مرزوق من خلال ما خلفه من تقارير نادرة المثيل عن ميل السلطان إلى الشورى، فقد خصّص ابن مرزوق الباب الثالث والثلاثين من كتابه في الحديث عن أسلوب السلطان أبو الحسن في الإستشارة والرأي والمشورة، ويذكر في العديد من المواضع اشارت إلى أن السلطان لم يتخذ قراراً في الحكم إلا بعد استخدام المشورة، فيتحدّث في الأمور في مجلسه ويفاوض فيه أهل حضرته على قدر كبر الأمر وصغره، وعلى حسب اختلاف المناصب والمراتب، وياخذ برأي الشيوخ والوزراء فيعرض عليهم الأمر ويرد إليهم الشورى ويوقف عليهم النظر، ويرفع عنهم الحشمة، فيقول: "لِيُقَلَّ كُلُّ أَمْرِي مَايَعْرَضُ" و ربما تقع المشاورة للمشايخ على حسب ترتيب مناصبهم في التقديم والتأخير، فإذا تلخص أمر نظر فيما صار إليه الرأي الأكثر، وضرب الرأي بالرأي فما ظهرت فيه المصلحة الظاهرة واجتمع عليه أكثر القوم عزم عليه^(٥).

(١) عبد الرحمن بن محمد الحضرمي بن خلدون، مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠١م): ٢٣٩/١.

(٢) المسند الصحيح: ٢٣٣.

(٣) عندما جاء أبو عنان الى الحكم لقب نفسه بأمر المؤمنين، وهو يعدُّ أول سلطان من سلاطين بني مرين أحدث تغييراً في اللقب. ينظر: أحمد أبو العباس بن علي الفلقشندي صبح الأعشى في صناعة الأنشأ، (القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٩١٥م): ٤٨٧.

(٤) محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، (ط٢، الكويت، دار القلم، ١٩٨٧م): ٢٦٠.

(٥) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣٥٣-٣٥٧.

٣-العلاقات الدبلوماسية لسلطين بني مرين:

إنّ المهتم بتاريخ العلاقات الدبلوماسية للمغرب يجد ضالته في كتاب المسند، فهو خير مصدر للعلاقات الحاصلة بين المغرب والدول المجاورة، لأنّ ابن مرزوق تناول معظم السفارات الحاصلة في تلك الفترة، و منها سفارته إلى البلاط القشتالي لإبرام اتفاقية للسلام والوقوف على الحدود بين المسلمين والنصارى، وتحرير بعض الأسرى ومنهم ابن السلطان أبو الحسن، وكذلك نقل رفاة طائفة من الشهداء المغاربة لدفنهم في مقبرة شالة، والسفارة الأخرى مع الوزير أبي عمران موسى ابن ابراهيم بن عيسى الزياني إلى الأمير الحفصي الأمير عبدالله ابن الأمير أبي زكريا يحيى بن السلطان أبي يحيى أبو بكر^(١).

وبذلك يعدُّ عهد السلطان أبي الحسن العصر الذهبي للعلاقات بين المغرب والشرق، ومن أهم مظاهر هذه العلاقات المتمثلة بالسفارات والهدايا والمكاتبات، ومن هذه السفارات السفارة الأولى سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م، وكانت الغاية منها مخاطبة السلطان الناصر فيما عزمت عليه والده السلطان أبي الحسن من حج البيت الحرام وزيارة القبر المكرم والصلاة بالمسجد الثلاثة، وكان القائم بهذه السفارة عثمان بن جرار^(٢)، وابن مرزوق، وقد أورد ابن مرزوق ماحدث في تلك السفارة وماقام به ابن الجرار فيقول: "فلما صلنا من الحجاز إلى القاهرة كان معه شخص من المغاربة الكُتاب فاقترضى كتاباً عن مولانا السلطان ضمّنه الوصية به، والإعلام بالعزم على حج والذتهم رضي الله عنها"^(٣). وهذا لم يعلم به أحد ولم يذكره أحد سوى ابن مرزوق، لأنه كان جزءاً من هذه المهمة ومشاركاً فيها.

أما السفارة الثانية التي تطّرق إليها ابن مرزوق فهي السفارة التي حدثت في الثاني عشر من رمضان سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م^(٤)، والتي تمّ نقل المصحف الكريم

(١) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣٥٤.

(*) وهو من بني جرار يقول عنه ابن خلدون: "نشأ مرموقاً بعين التجلة والرياسة وسعى عند السلطان أبي تاشفين بأن في نفسه تطاولاً للرياسة فأعقله مدة، وفر من محبسه فلحق بملك المغرب السلطان أبي سعيد فأثر محلّه وأكرم منزله واستأذن السلطان عند تغلبه على تلمسان في الحج بالناس فأذن له، وكان قائد الركب من المغرب إلى مكة" للمزيد من التفاصيل ينظر: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م): ١٥٣/٧.

(٣) المسند الصحيح: ٢٤١-٢٤٢.

(٤) تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي المقرئ، السلوك لمعرفة الدول والملوك، تحقيق، محمد عبدالقادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م): ٢٤٢-٢٤٣.

الذي قام بنسخه السلطان أبي الحسن بنفسه ليوقفه في الحرم المكي الشريف^(١)، وإلى جانب الربة الشريفة التي حملها الركب بعث السلطان أبو الحسن لملك مصر بهدايا عظيمة كانت حديث المجالس في المغرب والمشرق، وأفاض عاهل المغرب بكرمه على الركب الذي ضم شخصيات مغربية بارزة، فكانت حصة الحرة مريم ثلاثة آلاف وستمئة دينار من الذهب وبعض الكسوة وبغلات، ولأبي زيان عريف بن يحيى ألف دينار من الذهب وكسوة، وللقاضي أبي اسحاق ابراهيم ثلاثمائة دينار من الذهب وكسوة، وهكذا لقبية الركب^(٢)، وقد وقف ابن مرزوق على الهدية وما اشتملت^(٣)، وذكر ابن خلدون أنه وقف على برنامج الهدية بخط أبي الفضل محمد بن أبي مدين^(٤).

أما السفارة الثالثة التي ورد ذكرها عند ابن مرزوق، هي السفارة التي كانت تحمل النسخة الثانية التي كتبها السلطان أبو الحسن من المصحف الشريف، والتي بعثها الى المدينة المنورة، وتوقيت هذه السفارة كان في سنة ١٣٣٩م/٥٧٤٠هـ^(٥).

(١) ابن خلدون، العبر: ٣٥١/٧؛ أحمد أبو العباس بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، (الدار البيضاء، دار الكتب، ١٩٥٤م): ١٢٩/٣؛ الحريري، تاريخ المغرب: ٢٠٦؛ مزاحم علاوي الشاهري، الحضارة العربية الإسلامية في المغرب في العصر المريني، (ط١، عمان، مركز الكتاب الاكاديمي، ٢٠١٢): ٨٥.

(٢) للمزيد من التفاصيل عن هذه الهبات والهدايا ينظر: المسند الصحيح: ٤٥٢-٤٥٣؛ ونود أن نشير الى أن ابن خلدون لم يذكر الحرة مريم في عرض حديثه عن هدية السلطان الى المشرق، العبر: ٢٥٠/٧؛ وبأن المقريزي ذكر في كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" ص ٢٤٢، أن الحرة هي بنت السلطان أبي الحسن وهذا تحريف لأن ابن مرزوق يذكر أنها أم أخته وحظية والده وأنزلها بعد موت والدته منزلتها، ينظر ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٢٤٢.

(٣) المسند الصحيح: ٤٥٢.

(٤) العبر: ٣٥١/٧؛ الحريري، تاريخ المغرب: ٢٠٧.

(٥) المسند الصحيح: ٤٧٧؛ ابن خلدون، العبر: ٢٥٢/٧؛ الناصري، الاستقصا: ٣/١٣١.

المطلب الثاني: المضامين العسكرية

وتشمل: ذكر بعض المعارك:

أولاً: معركة الأرك ٥٩١هـ/١١٩٤م:

أشار ابن مرزوق الى بعض المواقع المشهورة بشكل مقتضب، على الرغم من أهمية البعض منها وخطورتها، مثل موقعة الأرك^(*) الشهيرة التي لم يذكر منها سوى انها كانت سبب في وفاة الأمير محيو فقال: "وكان سبب استشهاده أنه لما جاز مع أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور، قدّمه على المطوعة من سائر زناته، فأصابته هنالك جراحة، أثقلته فمات منها شهيداً رحمه الله"^(١)، ولم يشر إلى اسم المعركة، ويبدو أنها هي موقعة الأرك لأنّ هناك مصادر أشارت إلى اسم المعركة، وذكرت أنّ الأمير محيو مات متأثراً بجراحه فيها يقول الناصري: "فقام بأمرهم أبو خالد محيو بن أبي بكر ولم يزل مطاعاً فيهم إلى أن استتفرهم يعقوب المنصور إلى غزوة الأرك بالأندلس فشهدوها وأبلو فيها بلاءً حسناً، وأصابت محيو يومئذ جراحات هلك منها بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة"^(٢)

وكانت معركة الأرك من المعارك المهمة في تاريخ الغرب الإسلامي، فنجد أنّ مصادر كثيرة تحدثت عنها^(٣)، وفصلت في أحداثها فقد ذكرها ابن الأثير من ضمن أحداث

(*) الأرك: هو حصن منيع بمقربة من قلعة رباح، أول حصون أذفونش بالأندلس، وهناك كانت وقعة الأرك على صاحب قشتالة، وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب بن يوسف ملك المغرب سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)؛ ٢٧؛ محمد ابو القاسم بن سماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، (تونس، مطبعة التقدم الاسلامية، ١٩١١م)؛ ١٢١؛ أمين توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس، (القاهرة، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٧م)؛ ٢/٢٠٣.

(١) المسند الصحيح: ١١١؛ وينظر: القلقشندي، صبح الاعشى: ١٩٥/٥ وهو أيضاً لا يذكر اسم المعركة ولكن يذكر التاريخ سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م.

(٢) الإستقصا: ٤/٣؛ وينظر: عمر رضا كحاله، العالم الاسلامي، مختصر تاريخ دولة الإسلام، (ط٢، دمشق، المطبعة الهاشمية، ١٩٥٨م)؛ ٨٧؛ عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (ط٢، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢م)؛ ٧٨.

(٣) علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه محمد يوسف الدقاق، (ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)؛ مج ١٠/٢٣٧؛ محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المعجب في

سنة خمسمائة واحد وتسعين فقال: "وقيل كان سبب عبوره إلى الأندلس أنّ يعقوب لما قاتل الفرنج سنة ست وثمانين وصالحهم، بقيت طائفة منهم لم ترض الصلح جمعت تلك الطائفة جمعاً من الفرنج، وخرجوا إلى بلاد الإسلام فقتلوا وسبّوا وغنموا وأسروا وعاثوا فيها عيثاً شديداً، فأنتهى ذلك إلى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز إلى الأندلس في جيش يضيق عنه الفضاء، فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم، وأقبلوا إليه مجددين في قتاله... فالتقوا تاسع شعبان شمالي قرطبة عند قلعة رباح بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالاً شديداً^(١)، وجاء عن لسان المقرئ فقال عنها: "و ولي بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له في النصارى بالأندلس نكاية كبيرة ومن أعظمها غزوة الأرك التي تضاهي وقعة الزلاقة أو تزيد والأرك موضع بنواحي بطليموس، وكانت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وغنم فيها المسلمون ما عظم قدره وكان عدد من قتل من الفرنج فيما قيل مائة ألف وستة وأربعين ألفاً وعدة الأسارى ثلاثين ألفاً^(٢)."

ثانياً: عام المشعلة ٦١٣هـ/٢١١٧م:

ومن المواقع التي ذكرها الموقعة التي حصلت بين المرينيين والموحدين، إذ التقى الجمعان بوادي نكور، فانتصر بنو مرين تحت قيادة عبدالحق بن محيو فهزم الموحدين، وولّوا مدبرين الى تازة، وكان ذلك في سنة ٦١٣هـ/٢١١٧م، وسُمّي هذا العام بعام المشعلة^(٣)، ويذكر ابن عذاري أنّه بعد اندحار القوات الموحدية دخل الجنود فاس، وقد تستروا بنبات

تخليص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، (القاهرة، لجنة إحياء التراث، ١٩٦٣م): ٢٨٢؛ أحمد ابو العباس بن محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، (ط١، تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٣م): مج ٣/٢٣٤؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط، صور للطباعة، ١٩٧٢م): ٢٢٧؛ ابن خلدون، العبر: ٦/٣٢٩-٣٣٠؛ شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٨٨م): ١/٤٤٣؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٧٠-١٧١؛ عبدالعزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، (ط١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩١م): ٣٩١.

(١) الكامل في التاريخ: مج ١٠/٢٣٧.

(٢) نفح الطيب: ١/٤٤٣.

(٣) ابن خلدون، العبر: ٧/٢٢٥.

المشعلة فراراً من المرينيين^(١)، وقد أشار ابن مرزوق الى الهزيمة التي مُني بها الموحيدين على يد محمد بن عبدالحق فقال: "فحمدت سيرته وأستحسنت طريقته، فجهز الموحدون جيشاً لقتاله، فهزموهم على مكناسة، ثم هزمهم على كرت، هزيمتين مشهورتين، ثم توفي عفا الله عنه سنة ثلاث وأربعين وستمائة، قتله النصراني أبو ضربة"^(٢)، ويقصد بالهزيمة الأولى عام المشعلة.

ثالثاً: واقعة أبي بياش ١٢٤٤/هـ/١٢٤٤:

ومن المواقع التي ذكرها ولم يصرح باسمها واقعة أبي بياش، سميت بذلك لأنها وقعت بالقرب من موضع يسمى بصخرة أبي بياش من أحواز مدينة فاس التي كان بها حروب كثيرة وعظيمة لم يسمع بمثلها من أول النهار إلى آخره، فلما كان العشي قُتل الأمير محمد قتله زعيم من الروم وهزم بني مرين^(٣).

رابعاً: واقعة بني بهلول ١٢٥٣/هـ/١٢٥٥ م:

ومن الوقائع التي ذكرها ابن مرزوق الموقعة التي التقى بها الجيش الموحيدي الذي بلغ ثمانين ألف مقاتل، مع الجيش المريني سنة ١٢٥٣/هـ/١٢٥٥ م، بموضع يسمّى بني بهلول^(٤)، انتهت بهزيمة الموحيدين وانتصار المرينيين وتقدمهم وحصولهم على غنائم من أموال ومعدات، وفيها بايعت سجلماسة الأمير أبي بكر بن عبدالحق^(٥)، وقد اغتتم المرينيون الفرصة فتقدموا وفرضوا سيطرتهم على مدن منها تادله وسجلماسة ودرعة.

-
- (١) ابن عذاري، البيان المغرب: مج ٣/٣٨١؛ وينظر: ابن أبي زرع، الانيس المطرب: ٢٧٢-٢٧٣؛ علي بن عبد الله المشهور بابن ابي زرع، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، (الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢): ٢٨؛ مزاحم علاوي، الأوضاع الإقتصادية في المغرب على عهد المرينيين، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١ م): ١٨٠.
- (٢) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ١١٢.
- (٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: ٢٩٠؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السننية: ٦٢؛ ابن مرزوق، المسند الصحيح: ١١٢؛ ابن خلدون، العبر: ٦/٢٥٧؛ الناصري، الإستقصا: ٣/١٠-١١.
- (٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٥٤٣؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: ٢٥٨؛ المسند الصحيح: ١١٤؛ محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، القسم الخاص بالموحيدين، (ط٢، القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٩٩٠ م): القسم ٢/٥٤٤.
- (٥) ابن أبي زرع، الذخيرة السننية: ٨١؛ الحريري، تاريخ المغرب: ٢٥.

خامساً: واقعة أبي سليط ١٢٥٧/هـ:١٢٥٥

وهي التي حدثت في سنة ١٢٥٧/هـ بين أبي يحيى المريني ويغمراسن العبد وادي، وكانت حول السيطرة على سجلماسة وانتهت بهزيمة يغمراسن العبد الواد^(١). ومن نتائجها هو دخول أهل درعة في حكم الطاعة للأمير أبي يحيى^(٢).

سادساً: واقعة وادي ايسلي ١٢٧١/هـ:١٢٧٠

ومن المعارك التي تطرّق إليها والتي دارت بين بني مرين وبني عبد الواد هي وادي ايسلي التي حدثت في العشرين من شوال ١٢٧٠/هـ ١٢٧١م^(٣)، والتي انتهت بهزيمة بني عبد الواد أمام المرينيين؛ يقول عنها ابن مرزوق: "فالتقوا بابيسلي، فكانت الطائفة لبني مرين، وتحدثت الناس في جميع الاقطار بكثرة القتلى في هذه الهزيمة، وأمتلأت أيدي بني مرين بالسبي والغنيمة"^(٤)، ويقدر ابن الأحمر حجم الخسائر بخمسة من الروم الذين كانوا خدام يغمراسن الذي قتل ولده في المعركة فولى هارباً منها^(٥).

سابعاً: واقعة ذننو ١٢٧٥/هـ:١٢٧٤

أما واقعة ذننو^(*)، كما ذكرها ابن مرزوق، فقال: "واقعة ذننو أغنت شهرتها عن التنبيه عليها"^(٦)، والتي كانت بين المسلمين بقيادة السلطان يعقوب ضد جيوش النصارى، وكانت هذه من الوقائع المشهورة التي استطاع بها السلطان كسر شوكة النصارى في الأندلس، فقد كبدوا خسائر كثيرة في الأرواح تصل إلى ثمانية عشر ألفاً^(٧)، وكان ذلك سنة

(١) ابن خلدون، العبر: ٢٣٤/٧.

(٢) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ١١٤.

(٣) ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية: ١٣٢؛ عبدالرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، (ط١، الجزائر، المطبعة العربية، ١٩٥٥م): ٧٤-٧٥.

(٤) المسند الصحيح: ١١٣.

(٥) روضة النسرين: ٤٩.

(*) وردت هذه الكلمة بعدة أشكال ففي العبر كتبت دننه، ابن خلدون، العبر: ٢٥٥/٧؛ أما بالإحاطة فكتبت ذنونة، ابن الخطيب، الإحاطة: ٥٦٥؛ أما في الذخيرة السنوية فقد ذكر دون نونيو، ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية: ١٤٥؛ أما المقري فيذكر دننه، نفع الطيب: ٤٤٩/١.

(٦) المسند الصحيح: ١١٥.

(٧) ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية: ١٤٦-١٥٠؛ أما صاحب كتاب نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاحبار فيذكر أنّ الخسائر كانت مايفوق ثمانية الآف، ومن بينهم زعيمهم ذا النون. ينظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق، علي الزواري ومحمد محفوظ، (ط١، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٨م): ٥٢٣.

٦٧٤هـ/١٢٧٥م^(١)، وقد غنم فيها المسلمون غنائم تفوق الوصف ولا تعد ولا تحصى، وتم فيها قتل قائد النصارى القشتالي الشهير دننه (دون نيو نيوكونز ليس دي لارا Don Nuno gozales delara)^(٢)، وتعدُّ من المعارك التي كان لها أثر في نفوس الأندلسيين.

ثامناً: واقعة الملند:

ومن المواقع المشهورة التي ذكرها ابن مرزوق واقعة الملند^(٣)، التي حدثت بسبب استشهاد الأمير أبي عبد الملك، فقد ألهمت أخبار إستشهاده غضب والده السلطان أبي الحسن الذي أخرج وزراءه الى السواحل لتجهيز الأساطيل، وفتح ديوان العطاء، و إعترض الجنود و أزاح عنهم، واستنفر أهل المغرب وارتحل إلى سبته ليباشر أحوال الجهاد، وتسامعت أمم النصارى فإستعدوا للدفاع، و أخرج الملند أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من العبور، وحدثت معركة هائلة بين الأساطيل انتهت بمصرع الملند وانتصار السلطان أبو الحسن الذي جلس في سبته للتهنئة، وأنشدت الشعراء بين يديه، وكان يوم من أعرّ الأيام^(٤).

تاسعاً: معركة طريف (١٣٤٠هـ/١٣٤٠م)

ومن المواقع المذكورة لدى ابن مرزوق معركة طريف^(٥)، والتي كان شاهداً على أحداثها، لأنه كان مشاركاً بها، يقول في وصفه لها: "شاهدت منه في أثر واقعة طريف العظمى التي كان الوقع فيها جلاً، والخطب عظيماً ما أنسى ما رأيت منه من التجلد والصبر"^(٦)، ولم يعطِ ابن مرزوق تفاصيل لهذه المعركة رغم أهميتها وخطورتها على مستقبل

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٥٦٥

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: ٣١٦؛ شارل اندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠م، تعريب محمد مزالي وبشير بن سلامة، (ط٢، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣م) ٢١٩:

(٣) المسند الصحيح: ١٦١-٤٨٢

(٤) ابن خلدون، العبر: ٣٤٥/٧؛ الناصري، الإستقصا: ٣/١٣٥-١٣٦؛ عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ اقدم العصور إلى اليوم، (الإسكندرية، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ١٩٨٨م) ٢٦؛ ليفي بروفنسال، نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، (باريس، مطبوعات لاروز، ١٩٨٤م) ٦١-٦٢.

(*) سمى المسيحيون هذه الواقعة باسم المكان الذي وقعت فيه وهو (Riosalodo) ينظر: ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، (ط١، الدار البيضاء، دار الرشد الحديثة، ١٩٧٨م) ٥٠.

(٦) المسند الصحيح: ٢٢٥.

الخارطة السياسية لكلا الدولتين المرينية والغرناطية، ومن الغريب في الأمر أنّ محمد عبدالله عنان يذكر أنّ هذه المعركة التي خسر بها المسلمون بقيادة السلطان أبي الحسن هي نتيجة استشهاد ابنه الأمير عبدالملك^(١)، ولم يذكر واقعة الملند التي حدثت قبلها أما ابن خلدون، فقد ذكر أنّ موقعة طريف كانت بعد انتصاره في موقعة الملند فيقول: "لما ظفر المسلمون بأسطول النصارى وخضدوا شوكتهم من ممانعة الجواز، شرع السلطان في إجازة العساكر الغزاة من المطوعة والمرتزقة، وانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العودة إلى العدو، ولما استكمل إجازة العساكر أجاز هو في أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف"^(٢)، وعلى العموم فقد انتهت هذه المعركة بهزيمة السلطان أبي الحسن وانسحابه إلى المغرب، وارتد السلطان يوسف إلى غرناطة وكانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون مثلها منذ موقعة العقاب، وكان لها عميق الأثر في المغرب والأندلس^(٣)، وعقب تلك الهزيمة سقطت طريف وتمهد الطريق لسقوط جبل طارق والفصل النهائي بين المغرب والأندلس^(٤).

عاشراً: واقعة القيروان (١٣٤٨هـ/١٣٤٩م)

ومن الوقائع التي ذكرها موقعة القيروان^(٥) التي حوصر السلطان أبو الحسن بالقيروان من قبل بعض القبائل بسبب بعض الإصلاحات التي قام بها، وقد انفرد بذكر بعض التفاصيل الدقيقة لهذه الموقعة والعديد من الشخصيات التي جاءت ترجو عفو، ومن الشخصيات التي ذكرها ابن مرزوق هو أحمد بن أبي سعيد عثمان بن أبي دبوس، وهو الخارج عليه والذي بوبع له بالخلافة وخطب له بتونس، وبعض بلاد أفريقية، وقد قبض عليه وسبق إلى السلطان أبو الحسن، وأراد الوزير أبو حسون قتله لكن السلطان عفا عنه، وقال له: "أذهب، عفا الله عنا وعنك، غير أنك لاتزال تحت حكم الثقاف ماد امت هذه الفتنة"، يقول ابن مرزوق: "فلم يزل تحت حفظ وكلائه ولحظ و رعاية حتى وصل إلى المغرب واستقر بالأندلس، ووفد على المولى

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس: ١٢٧/٤، قارنا الهوامش التي ذكرها فلم تكن مطابقة لما جاء بالمتن.

(٢) العبر: ٣٤٦/٧؛ المقري، نفع الطيب: ١٤/٥-١٥.

(٣) عنان، دولة الإسلام: ١٢٨/٤.

(٤) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، (ط٢، القاهرة، دار الرشد، ١٩٩٧م) : ٤٥٢.

(٥) ابن الخطيب، اللحة البديرة: ٩٣؛ الناصري، الإستقصا: ١٥٨/٣-١٥٩.

السلطان أبي سالم رحمه الله، وذريته الآن بغرناطة^(١). ومن الجدير بالملاحظة إنَّ ابن مرزوق يذكر تفاصيل دقيقة عن هذه الواقعة، وأنفرد بها عن غيره من المؤرخين الذين ذكروا الواقعة^(٢)، والسبب يعود الى وجوده مع السلطان في تلك الحقبة وإطلاعه على سير الأحداث.

ب-المضامين الإدارية:

يقدم ابن مرزوق في كتابه المسند الصحيح صورة واضحة عن التنظيم الإداري المريني في عهد أبي الحسن، ويذكر مناصب إدارية كثيرة تتعلّق بالجهاز الإداري للدولة المرينية في تلك الفترة، منها:

١-الوزارة:

يذكر ابن مرزوق: "أنَّ الوزارة مشتقة من حمل الوزر، وهو الثقل فالوزراء يحملون أُنقال المملكة وقيل إنَّ أول شي يستقيده الملك من الوزراء، علم ماكان يجعله، ويقوي عنده علم ما كان يعمل، فيزول شكه، فالوزير يسعد والوزير يهلك"^(٣)، أما ابن خلدون فيقول عن الوزارة: "هي أمُّ الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأنَّ اسمها يدلُّ على مطلق الإعانة، فإنَّ الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل"^(٤)، والدولة المرينية حالها كحال أيِّ دولة استعانت بهذا المنصب الإداري، ولكنهم اختلفوا عن ماكان متبع في الدولة الموحدية من تعيين الوزراء من أحد أولادهم أو أقاربهم وإنما اختاروا أصحاب السيف ولم يكونوا أصحاب القلم^(٥). وقد أعطانا ابن مرزوق ترجمة لاثنتي عشر وزيراً تقلد منصب الوزارة في عهد السلطان أبي الحسن، وكانوا وزراء أيام السلطان أبي سعيد ويبدو أن أكثر هؤلاء الوزراء كانوا على درجة من العلم والصفات الحميدة التي تميّزوا بها، مما جعلهم يصلون هذا المنصب، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره ابن مرزوق في مستهل حديثه عنهم فقال: "كان لإمامنا (رضي الله عنه) وزراء على سنته وطريقته، يحافظون على الأديان ويحذرون البغي والطغيان، وكانوا له خير أعوان واقفين عند إرادته"، وعلى الرغم من أنَّه لم يعاصرهم جميعاً إلا أنه استطاع أن يحصي أسماءهم، فقال: "ادركت منهم من عاصرته وعاشرته وفاتني منهم

(١) المسند الصحيح: ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) لمقارنة المعلومات ينظر: المسند الصحيح: ٣٣٤-٣٣٥ مع ابن خلدون، العبر: ٧/٣٦١-٣٦٥.

(٣) المسند الصحيح: ٣٦٥.

(٤) مقدمة ابن خلدون: ١/٢٩٤.

(٥) الحريري، تاريخ المغرب: ٣٠٠.

جماعة تقدموا زمن ملازمتي لآبوابه (رضي الله عنهم) ورحمهم. فأدركت وخالطت من أسميه" وابتدأ في أول وزير تولّى منصب الوزارة في عهد السلطان أبي الحسن وهو أبو ثابت عامر بن فتح الله والذي كان لأبيه مكانة مكيّنة عند السلطان أبي يوسف^(١).

ويذكر أهم الوزراء وأقربهم الى السلطان أبي الحسن هو أبو زيان عريف بن يحيى بن عثمان السويدي الزغبى، الذي يصفه بمنزلة الصاحب والخليل وأبو حسون علال بن محمد الهسكوري، الذي يقول عنه إنّه بمنزلة الولد الأتجب والمولود الأقرب الذي لا يخفي عنه امرأ، وكان هؤلاء الوزراء يرافقون السلاطين في غزواتهم، وقد ذكر ابن مرزوق أسماء من أستشهد منهم في الغزوات التي خاضها السلطان أبو الحسن في طريف والقيروان ووصفهم بأوصاف تدلّ على مكانتهم الحربية كالشجاعة والفروسية وسيوف الله المسلولة^(٢)، ويشير ابن مرزوق في بعض الأحيان إلى سيطرة بعض الوزراء وتصرفاتهم تجاه الرعية، ومنهم الوزير أبو معرف محمد بن يحياتن العسري بقوله: " فلما ظهرت عاديته وبان منه الجور والظلم " وكذلك قوله عند الحديث عن الوزير أبو محمد عبدالله بن سعيد الياباني: " وخلف من عمل العظامم وارتكب الجرائم، واستحلّ المحارم ولده عمر (عمر الله به زاوية الجحيم، وجدّد عليه العذاب الأليم..."^(٣)، ولأوّل مرة نجد ابن مرزوق يدعي بهذه الطريقة، ولعلّ منبع هذا الهجوم هو أنّ عمر بن عبدالله هو الذي نكبه أيام السلطان أبي سالم.

ومن الملاحظ على أنّ منصب الوزارة في الدولة المرينية كان أكثر وزرائها من أسر معروفة، فهناك عدد كبير من الوزراء من الفودودي أو الياباني أو العسكري بل أنّ بعضهم تربطهم علاقات مصاهرة بسلاطين بني مرين^(٤). وقد حظي منصب الوزارة بمكانة مهمة لدى بنو مرين، وكان من المهام التي يقوم بها الأشراف على تحصيل الجبايات والنظر في الولاية ورفع الشكايات للسلطان ومباشرة الحكم في بعضها^(٥). ومهمة أخرى هي معرفة أخبار النواحي

(١) المسند الصحيح: ٣٦١.

(٢) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣٦١-٣٦٢؛ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (الإسكندرية، مؤسّسة الشباب الجامعة، ١٩٢٢م): ٢١٠.

(٣) المسند الصحيح: ٣٣٦.

(٤) مثال ذلك زواج الوزير عمر بن عبدالله بن علي من أخت السلطان أبو سالم ابراهيم المريني، ينظر: محمد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني لسان الدين بن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الإغتراب، تعليق، أحمد مختار العبادي، (الدار البيضاء، دار النشر المغربية، د.ت): ٣٢/٢-٣٣.

(٥) العبادي، دراسات: ٢١٠؛ علي حامد الماحي، المغرب في عصر السلطان ابي عنان المريني، (الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ١٩٨٦م): ١٣٥.

والأقطار البعيدة يذكر ابن مرزوق أن أسباب سقوط دولة بني أمية عدم معرفتهم للأخبار فكان العباسيون يؤسسون دولتهم ولا تصل أخبارهم إلى سلطان بني أمية حتى استقل أمرهم، وضعف أمر بني أمية^(١)، من خلال ما أورده ابن مرزوق عن الوزراء، وجدنا أن هناك بعض الوزراء خدموا لدى أكثر من سلطان، والبعض الآخر ظلّ أبناؤهم من بعدهم يتولون نفس المناصب، ويؤدون أدواراً كبرى ومهمة في الصراعات الداخلية لاسيّما في مرحلة سيطرة الوزراء على مقاليد الدولة، و الذي ظهرت واضحة مع السلطان أبي سالم وعائلة الفودودي وابناء الكأس، وأن هذه الاستمرارية توضح نوع من الوراثة لهذا المنصب في تلك الحقبة.

٢- الكتابة:

وظيفة إدارية استخدمها الرسول (□) ومن بعده الخلفاء الراشدين، وعند حديث ابن مرزوق عن كتاب السلطان أبي الحسن، أورد ذكر كُتّاب الرسول ومنهم زيد بن ثابت الذي امره الرسول أن يتعلّم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها فتعلمها في ثمانية عشر يوماً^(٢). وكانت وظيفة الكتابة في الدولة المرينية من أهم وأخطر الوظائف المعاونة للسلطان المريني، لذلك أفردوا لها ديواناً مستقلاً بها، أطلقوا عليه ديوان الإنشاء والعلامة^(٣). أما عن صاحب خطة الكتابة والإنشاء فقد ورد ذكره بصيغ مختلفة مثل صاحب القلم الأعلى والفقير الكاتب^(٤)، وشيخ الكتاب^(٥)، أو رئيس الكُتّاب^(٦)، وكاتب السرّ والإنشاء^(٧). وقد اهتم بنو مرين بهذه النظم واختاروا لها كبار علماء اللغة العربية والفقهاء، ممّن اتصفوا بالعلم والبلاغة وسعة المعرفة، والقدرة على انتقاء الألفاظ وحسن إختيار الأسلوب، وكان رئيس الإنشاء يأتي بعد منصب الوزير فكان من خواص السلطان الموثوقين ومرافق دائم لهم "كاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه"^(٨).

(١) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣٦١.

(٢) المسند الصحيح: ٣٧٣.

(٣) الحريري، تاريخ المغرب: ٢٦٥.

(٤) اسماعيل بن الاحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق، محمد التركي ومحمد بن تاويت التطواني، (ط١، المغرب، المطبعة المهدية، ١٩٦٥م) : ٢٠.

(٥) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣٧٦.

(٦) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، (لبنان، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م) : ٤٠.

(٧) ابن الحاج، فيض العباب: ٤٦؛ ابن خلدون، التعريف: ٧٠.

(٨) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣٧٤.

أما صاحب العلامة، فهي أرفع رتب الكتابة لدى السلطان، وهو الذي يكتب بخطه ويضع علامة السلطان نيابة عنه أسفل المراسيم والمخاطبات^(١)، وكانت علامة الصك المريني "كتب هذا بالتاريخ المؤرخ"^(٢)، وكانت تكتب بخط الكاتب، لكن منذ عهد السلطان أبي الحسن أصبح هو يكتبها بيده وتكتب بنوع خاص من الأقلام ذات الخطوط العريضة^(٣).

لقد انتظم لوظيفة الكتابة في البلاط المريني كبار علماء الأدب والبلاغة، بل إن الكتابة كثيراً ما اختصت بها عائلة بن أبي مدين^(٤)، التي تولت منها في هذه الوظيفة عبدالله بن أبي مدين للسلطان أبي يعقوب والسلطان يوسف والسلطان أبي ثابت^(٥)، كما تولها الحاج محمد بن أبي مدين وأخوه القصري في عهد السلطان أبي سعيد^(٦)، ومن أشهر الكُتّاب بالديوان المريني في عهد السلطان أبي الحسن الذي تولى ذكرهم ابن مرزوق في كتاب المسند، وقال عنهم: "فهؤلاء كُتّابه، أعلام من علماء الإسلام، وائمة في فضلاء الأنام، وكفى بهذا شرفاً وفخراً كل واحد من هؤلاء يفيد ويبيد في ضروب العلوم، ويعيد ما بين قاض وخطيب وسري ماجد وحسيب"^(٧)، ويبدو انه لم يذكر الكُتّاب جميعاً، فقط اقتصر على من هم من الطبقة الأولى وبرر ذلك في قوله: "وغير هؤلاء ممن لم يلحق بطبقتهم تركته لذلك"^(٨)، ولم يذكر سوى ستة منهم أدناه أسماء من ذكرهم ونبذة عنهم:

١- أبو محمد عبدالمهيمن: أصله من سبته وكان والده قاضي فيها تابع دراسته في غرناطة^(٩)، واستدعاه السلطان أبوسعيد وولاه ديوان الإنشاء والكتابة^(١٠)،

(١) ابن خلدون، التعريف: ٢٣.

(٢) الفلقشندي، صبح الاعشى: ٢١٠؛ المنوني، ورقات: ٨٤.

(٣) حركات، المغرب عبر التاريخ: ١٢٦.

(٤) لا بد الإشارة الى ان أبي مدين هذا ليس أبو مدين الدفين بجبل العباد، وإنما هو فقط تشابه في الأسماء يقول ابن الأحمر: "إنما الاسمان توافقا، وبصحة الشبه ترافقا هذا من بني عثمان وذلك من خزرج، ينظر: مستودع العلامة: ٤٣.

(٥) ابن الاحمر، روضة النسرین: ١٨-٢١.

(٦) حركات، المغرب عبر التاريخ: ١٢٦.

(٧) ص: ٣٧٧.

(٨) المسند الصحيح: ٣٧٧.

(٩) ابن الاحمر، مستودع العلامة: ٥١.

(١٠) الفلقشندي، صبح الاعشى: ١٩٨.

- وكان ذلك سنة ٧١٨هـ/١٣١٨ م وتوفي في وباء الطاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م^(١).
- ٢- أبو محمد عبدالله المرسي السبتي: كان فاضلاً، مشاركاً، نبيلاً، محسناً، مجيداً، شاعراً، سري الهممة، نزيه النفس، حسن الهيئة، وقرراً^(٢).
- ٣- أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن الأشقر الفاسي: كاتب بارع، وأديب وشاعر عارف بالعلوم، ذاكراً بالتاريخ و أيام الناس، توفي في فاس^(٣).
- ٤- أبو العباس أحمد بن شعيب: ولد في تازة بالمغرب، برع في اللسان والأدب والعلوم العقلية، مثل الفلسفة والتعليم والطب وغيرها، نظمه السلطان أبي سعيد في حلبة الكُتّاب وأجرى عليه الرزق مع الاطباء لتقدّمه فيهم فكان كاتبه وطبيبهم، وكذلك مع السلطان أبي الحسن، توفي بالطاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م^(٤).
- ٥- أبو إسحاق ابراهيم بن عبدالله بن الحاج النميري: ولد بغرناطة سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م عمل كاتباً بالبلاط النصرى، استدعاه السلطان أبو الحسن إلى فاس إذ تولّى الكتابة سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م، رحل إلى المشرق وعاد الى غرناطة واستقرّ بها، وتقلّد منصب القضاء وتوفي سنة ٧٦٤هـ^(٥).
- ٦- أبو القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان النجاري: أصله من الأندلس نشأ بمالقة، وأخذ عن مشيختها وحذق بالعربية والأدب وتفنن بالعلوم^(٦).
- أما كُتّاب الخراج والديوان وأهل الحساب والمساحة فمنهم الفقيه الفاضل الحسيب، أبو الحسن القبلي والفقيه أبو الفضل بن عبدالله بن أبي مدين كان من سراة الفضلاء وكبار الحسباء، والفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن سعود^(٧). ومن خلال استعراضنا لهؤلاء الكُتّاب وجدنا أن الكتابة عند المرينيين لم تقتصر على المغاربة فقط، بل كان هناك من الأندلسيين من الذين شاركوا في هذا العمل الإداري.

(١) ابن خلدون، التعريف: ٤٠-٤٢

(٢) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣٧٥

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٥

(٤) ابن خلدون، التعريف: ٤٨-٤٩

(٥) ابن الخطيب، الاحاطة: ١/١٧٨

(٦) ابن خلدون، التعريف: ٤٢-٤٣؛ ابن الاحمر، مستودع العلامة: ٥٢-٥٤

(٧) ابن مرزوق، المسند لصحيح: ٣٧٧

٣- القضاء:

يأتي لفظ القضاء في اللغة على أنحاء مرجعها إلى انقطاع الشيء وتماجه يقال قضى الحاكم إذا فصل في الحكم^(١)، وكان منصب القضاء من الوظائف المهمة في الدولة الإسلامية، لذا فهو يأتي بعد منصب الخلافة في الأهمية ويشير الخشني إلى خطورة منصب القاضي بقوله: "القاضي أعظم الولاة خطراً بعد الإمام جعله الله زماماً للدين وقواماً للدنيا"^(٢)، فقد اهتم المرينيون بالقضاء وكانوا السلاطين يعينونهم بأنفسهم، وكان أول منصب للقضاء في الدولة المرينية هو قاضي الجماعة والمقصود بها قاضي القضاة، وهو ما يعادل منصب قاضي الخلافة بالمشرق^(٣)، وكانت الصفة الغالبة على أكثر قضاة الدولة المرينية شدة الصلاح والخوف من الله تعالى، وكان أكثرهم من الفقهاء والمفتين، يشير ابن مرزوق إلى أن السلطان أبا الحسن بنى قبة العدل في منصور تلمسان، وكذلك في مدينة سبتة، وشكّل مجلساً قضائياً يضم خيرة فقهاء مجلسه، كالفقيه أبو عبدالله الرندي، والفقيه أبو عبدالله السطي، والفقيه أبو العباس بن يربوع، والفقيه أبو عبدالله بن عبدالنور، والفقيه ابو محمد عبدالنور، والفقيه ابو عبدالله الفشتالي وغيره^(٤)

٤- النظر في المظالم:

وهو نوع من أنواع القضاء ابتكره الإسلام، حيث تكون السلطة فيه أوسع، إذ يتولاه السلطان نفسه، أو ينوب عنه من كبار القضاة، يقول ابن خلدون في هذه الوظيفة: "وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصف القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقع المظالم من الخصمين وتزجر المعتدي مكانه، السلطان يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن امضائهم"^(٥)، وأشار ابن مرزوق إلى هذه الوظيفة فقال: "كان رضي الله عنه يعين من يتوجه للبلاد في كل سنة لذلك، فيبعث من يتفقد

(١) علي بن عبدالله بن محمد بن حسن النباهي المالقي الاندلسي، تاريخ قضاة الاندلس، نشر، ليفي بروفنسال، (القاهرة، دار الكاتب المصري، ١٩٤٨م) :٢.

(٢) محمد بن حارث بن اسد القيروني الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق، ابراهيم الايباري، (ط٢، بيروت، دارالكاتب اللبناني، ١٩٨٩م) :٢٥.

(٣) النباهي، تاريخ قضاة الاندلس: ٢١.

(٤) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ١٧٣.

(٥) مقدّمة ابن خلدون: ١/٢٧٦.

أحوال الرعية من هذه الأصناف في كل ناحية من بلاده وترفع إليه {أبي الحسن} الشكايات من كل الأقاليم^(١).

٥- شهداء بيت المال:

ومن الوظائف التي أُستحدثت في النظام المالي في العهد المريني ولم تكن موجودة قبل ذلك عند المرابطين والموحدين، وهي وظيفة شهداء بيت المال، والتي تمثل الرقابة المالية في وقتنا الحالي، وقد وصفها لنا ابن مرزوق، فقال عنها: "وهي أشرف خطط العدالة، يشهدون على الحاصل في بيوت الأموال، الداخل والخارج، ويرجع إليهم سائر الاعمال وترفع لهم الجرائد"^(٢)، وأول من عُيّن لهذا المنصب أبو العباس بن حسن البلباني التلمساني الذي عينه السلطان أبو الحسن^(٣).

٦- إدارة الأقاليم:

لسهولة إدارة البلاد قسّم المرينيون دولتهم على تسعة أقاليم، بعد أن كانت ستة أقاليم في العهد الموحيدي، وتدار هذه الأقاليم بواسطة عمال يعينهم السلطان بنفسه، وهم العمال الرئيسون، وقد ذكرهم ابن مرزوق، وهم صاحب القصبية، وصاحب الشرطة، والوالي والقاضي والمحتسب^(٤). أما صاحب القصبية، ويسمى المشرف وظيفته الإشراف على السلطة المحلية، وهو الواسطة بينها وبين السلطة العليا، وكان السلطان أبو الحسن قد أصدر أمراً بأن يجتمع في كل بلد بعد صلاة الجمعة قائدها ووالي قصبته و واليها وخطيبها والعدول، ليسمعوا جميع الشكايات التي تورّد إليهم، فإذا حلّ هذه الشكايات قضوا بها، ومايحتاج إلى أن يرفع إلى السلطان، كتبوا به ووجه قائد القصبية إلى باب السلطان^(٥).

(١) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ١٧٤.

(٢) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣١٤؛ المنوني، وراقات: ٨٣.

(٣) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ٣١٣-٣١٤.

(٤) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ١٧٤؛ المنوني، وراقات: ٨٨.

(٥) ابن مرزوق، المسند الصحيح: ١٧٤.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الموسومة بالمضامين السياسية والعسكرية والإدارية لكتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن" تجدر الإشارة إلى أهمّ ماتوصلنا إليه من نتائج وقد لخصناها في عدّة نقاط منها:

١- تبين لنا أنّ سلاطين الدولة المرينية اهتموا بالتنظيمات الإدارية وطورها وأضافوا بعض المناصب.

٢- إنّ ابن مرزوق إتسم بمرونة فكرية مع وجود عاطفة شخصية أزاء السلطان أبو الحسن خاصة والدولة المرينية عامة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال ما جمع ودرس من روايات واختيار الأقرب منها، فيما يراه مناسباً لاسيماً في إرجاع صحة النسب المريني إلى النسب العلوي الشريف، والذي اختلف فيه النسابون.

٣- إنّ كتاب المسند هو محور الدراسة فلا بُدَّ أنّ نشيد بالمعلومات التي تضمنها، فهي معلومات وافية تتحدّث عن حقبة زمنية طويلة، وإنّ ماجاء به ابن مرزوق على الرغم من الإختصار في بعض الأحداث إلاّ أنّه يعدُّ ذات قيمة تاريخية إنفرد بها عمّن سبّقه، وعن باقي مؤرخي عصره، وتتأكّد لنا الأهمية التي ينطوي عليها الكتاب، ليس في كونه مصدر لسيرة شخصية مهمة في التاريخ فحسب، وإنّما تعدّها إلى أنّ يكون كتاب تاريخي فقهي أدبي سياسي ويبدو ذلك واضحاً من خلال ما زخر به من معلومات دفيئة وفريدة من نوعها، وعلى الرغم من أنّ الكتاب هو كتاب في مآثر ومحاسن السلطان أبي الحسن، كما هو موضح من عنوانه، إلاّ أنّه يعدُّ كتاب جامع لفنون متنوّعة ناتج من تنوع ثقافة ابن مرزوق واتساع افاقها، وهذا ناتج من دراسته للعديد من العلوم كعلوم القرآن والحديث وعلوم اللغة والفقه وغيرها، منذ نعومة اظفاره، فقد فاض بالكثير من المضامين السياسية والعسكرية والإدارية.

٤- كشف البحث على نظام الحكم السياسي المتبع في الدولة المرينية القائم على مبدأ الشورى، وعلى طبيعة العلاقات الدبلوماسية التي ازدهرت في عهد السلطان ابو الحسن .

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- ❖ الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب لسان الدين السلماني(ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٤م.
- ❖ الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الناصري، أحمد أبو العباس بن خالد (ت:١٣١٥هـ/١٨٩٧م) تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
- ❖ الأتيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ابن أبي زرع علي بن عبدالله (ت:٧٢٦هـ/١٣٢٦م) صور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.
- ❖ البيان المغرب في إختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ابن عذاري، أبو عباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حياً:٧١٢هـ/١٣١٢م) تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٣م.
- ❖ تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ❖ التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد الحضرمي ، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ١٩٧٩م.
- ❖ روضة النسرين في دولة بني مرين، ابن الأحمر اسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي (ت:٨٠٧هـ/١٤٠٥م) المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٩م.
- ❖ الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، ابن أبي زرع علي بن عبدالله (ت:٧٢٦هـ/١٣٢٦م) د.م، الرباط، ١٩٧٢م.
- ❖ السلوك لمعرفة دول الملوك، المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد (ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م)، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ❖ صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، -القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت:٨٢١هـ/١٤١٨م) ، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٩١٥م.
- ❖ فيض العباب وإفاضة قدامح الأداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، النميري، ابراهيم بن عبدالله بن ابراهيم(ت:٧٦٨هـ/١٣٦٧) تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

- ❖ قضاة قرطبة، الخشني، أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد القيرواني (٣٦١هـ/٩٧١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ❖ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العالمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣م.
- ❖ مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ابن الأحمر، اسماعيل بن فرج بن اسماعيل، تحقيق، محمد التركي ومحمد بن تاويت التطواني، المطبعة المهدية، المغرب، ط١، ١٩٦٥م.
- ❖ المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ابن مرزوق، محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر التلمساني (ت: ٧٨١هـ/١٣٧٩م)، تحقيق ماريّا خيسوس بيغيريا، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠م.
- ❖ مقدمة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.
- ❖ نزهة النظر في عجائب التواريخ والأخبار، مقديش، محمود (ت: ١٢٢٨هـ/١٨١٣م)، تحقيق، علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامية، بيروت ط١، ١٩٨٨م.
- ❖ نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، الملزوزي، عبدالعزيز بن عبدالواحد بن محمد النجار (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٣م.
- ❖ نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م) تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٨٨م.
- ❖ وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

ثانياً: المراجع

- ❖ بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، عبدالعزيز سالم، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ❖ تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، محمد عيسى الحريري، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٩٨٧م.
- ❖ تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، عبدالعزيز سالم مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط٢، ١٩٨٢م.
- ❖ دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبدالله عنان مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.

- ❖ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٢٢م.
- ❖ دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، أمين توفيق الطيبي ،الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٧م.
- ❖ العالم الإسلامي، مختصر تاريخ دولة الإسلام،عمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية، دمشق، ٢، ١٩٥٨م .
- ❖ معالم تاريخ المغرب والأندلس، حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، ٢، ١٩٩٧م.
- ❖ المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م.
- ❖ ورقات عن حضارة المرينيين، محمد المنوني، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ٣، ٢٠٠٠م.